مبارك وساط

جماجِم غاضبة بِسبب الطَّقس البارِد

شِعر



Jidar
Culture & Publishing

الكتاب: جماجم غاضبة بسبب الطّقس البارد

المؤلف: مبارك وساط

شعر

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الأولى 2025

الترقيم الدولي: **978-1-326-21884-3**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

Skulls Enraged by the Cold

Author: Embarek Ouassat

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

ISBN: 978-1-326-21884-3

مبارك وساط

جماجم غاضبة
بسبب الطّقس البارد

شِعر

المحتوى

راقصات

أمام باب حديقة مهجورة
رأيتُ مناديلَ رهيفة ذات ألوان
مَنسيّةً في أيدي راقصات
مِن عصر سالف
الأيدي من دون أجساد
مع هذا يُمكنك تخيّلُ صاحباتِها
والبردُ العابر
سيُوصِل أسماءهنّ إلى مسامعك
إثْر ذلك ستسمع طقطقاتِ أحذيتهنّ
وتنهّداتهنّ أيضاً
فهنّ لَم يتعوَّدن على الموت بَعد

العاصِفة التي...

العاصفة التي طوّحَتْ بأفكاره
لم تُبْقِ في ذهنه سِوى كومات ثلج
عُشبُ حديقته
انقلب إلى قُطن
أصداءُ نُباح نَفذتْ عبر نافذته
لكنْ ليس في الخارج شَبَحُ كَلب
هنالك أعمدة كَهربائيّة فحسب
وهو يراها بَيضاء
لا يَدري أَهِي التي أصبحتْ
شُموعاً ضخمة طويلة
أمْ أنّه يراها
مِن خلال عقله الذي غزاه الثّلج
وإذْ حلّ الصّباح المُوالي
شَعَر بِقلق وَخَرَج
فكّر: «عليّ أنْ أسحب ما لديّ في البنك
قبل أن تُصبح الأوراق النّقديّة التي في حِسابي
مجرّدَ أوراق فارغة ورهيفة
تَصلح فحسب لِلَفّ الحشيش»

في طريقه إلى البنك تذكّر
أنّ رَصيدَه هو تحت الصِّفر
فتوقّف عن السّير
وتنفّس الصُّعَداء

امرأة

امرأة تَمسح حُزن البارحة
عن طاولة فوقها كتاب
هي تعرف الكثير من أسماء الجبال
والمطرُ الأخير
قَاسَمها أسرارَه
«أنا في سِنّ البَرق»
هذا ما تقوله وتبتسم
تعرَّفتُ عليها يوماً وعلى الفور
شاركتْني البحث عن قدّاحة
كنتُ أَضَعتُها وسط أحجار وحَصًى كثير
تلك كانت قدّاحتي الحمراء
كم مرّةٍ وضعتُ يدِي في جيب بنطالي
فوجدتُها رقيقةً وهادئة ولطيفة
لقد كانت مَلِكةً على شرارات
وتشرّبَت ضحكاتي في حانات
وكثيراً ما سافرتْ حتّى الأُفق
وأصبحتْ نجمة جميلة تلمع من بعيد
المرأة تمسح الآن حزنَ البارحة
عن طاولة فوقها كتاب

إنّها في عُمر البُرُوق

سأجلس قبالتها

ونلعب مباراة شطرنج

تجاعيد

تجاعيدُ تتدحرج على سَطح تابوت

التّابوت ينتظر عجوزاً

لم تَمتْ بعد

لكنّ أصابعَ يَدَيها هي التي تجيء

وَتَنقر على سطحه

إنّه الآن بيانو

في الخارج

مَطر لطيف

يُشارك في السيمفونيّة

التي تتنامى

يَنفُث الصّباح أنفاسَه

ينفث الصّباح أنفاسه اليائسة
في كأسِ قهوة أمامي
من التّلفاز يَسيل دَم غزير
في مُخيّلتي تركض ظلال
مُنكّسةً هاماتِها
أَخرج لأتمشّى
لكنّ الطّريق تتشنّج
وتختضّ تحت قدميّ
أشعر أنّ الطّريق أيضاً
سيّئة المزاج
أتابع سَيري
متقافزاً

كأس

تركتُ كأسي فارغة
على حافة النّافذة
حَدث ذلك سهواً
لا أكره هذه الكأس
هي كائن مُرْهَف
وتتذكّر أقدامَ أُناسِ عصور بائدة
كانوا قد داسوها
وهيَ بعدُ حبّات رَمل
تتذكّرُ أنّي أسقطتُها مرّةً
دون رغبة منّي
وأبدتْ صبراً ولمْ تنكسِر
بل تدحرجتْ وَرَسَت
فوق أصابعِ قدمي اليُمنى
أحياناً أشعر أنّ أسىً يتخلّل كيانها
فأسكبُ فيها نبيذاً
أو أُغنيةَ شتاء
يحدثُ أنْ أتحدّثُ إليها هَمساً
حتّى تتشرّبَ كلماتي
وكثيراً ما تُغْنيني عَن أرصفة

تتيه فيها خُطاي ولا تَغنم

سوى الضّجر

نِداءُ مَوجات

أسمعُ نداءَ موجاتٍ بعيدات
هل الشّاطئ يَفتقدني؟
البارحة كان هنالك حفل على الكورنيش
ووُزِّعَت الشّامبانيا
ورَقَصت جميلات
وحتّى بناتُ آوى
قَدّمن عروضاً مُسَلّية
كانت الموسيقى الشّعبيّة
تنفذ إلى أذني اليُمنى فحسب
اليسرى أرستقراطيّة وسأتبرّأ منها
أنا ماضٍ مُجدّداً إلى الكورنيش
الطّريق مألوفة لديّ
ومُلوحة البَحر
من بعيد
تُداعب خيشومَيّ

أَيُّ حكاية

أَيّ حكاية
يَهمس لي بها هذا البهلوان
المُطِلّ من نافذتي؟
وَلِماذا يموت أطفال كثيرون
في نهايتها؟
لِماذا يَمُور زَبَد
في أحشاء هذه السّاعة؟
هل تَغمرني الآن مياهُ البَحر
وأنا جالس في غرفتي
فيما قِطّي العجيب
يُثْلج مِن عينيه؟

رَنين

إنْ لم تكن للأفق أجراس
فمن أين هذا الرّنين
الذي أسمعه في الأعالي
وأنا وسط هذا الدّمار
لقد كنتُ البارحةَ في بيت
شفتاي الآن مزمومتان
رنينٌ وصَخَب يصلانِنِي من فوق
غُرفتي نَثَرتْ حولها أحجارَ جدرانها
لقد كانت دافئةً بالأمس
هنالك أيضاً أناس مُمَدّدُون بقربي
وقضبان حديد مُلتوية وأحجار
الظّلال وحدها تتحرّك
زهرة منسيّة على صخرة
تقول في سِرّها: أنا لا أخاف
نحن الآن في هذا القَفر
بالأمس كنّا موجودِين

مُعلّم نَشيط

يُهَدّد المُشاغبين بِطُيور البَرْد
يواجهونه شَاهرين
جِراحَ ولادة
يَشعر بشفتيه تتبخّران
يُحاول لَمْسهما بلسانه
فيجدهما في مكانهما مُنفرجتَيْن
كأنّما تَسخران منه
لا يَخلط بين العصافير والنّجوم
أثناء سفره العموديّ
مُرتفعاً بين عناقيد العنب
يَحلّ الليل فيغمس عظامَه في الحِبر
لِيؤلّف فقرة عن بركان
تُحمحم من حوله خُيول
لِيؤلّف صفحة عن مستشفى
حاصرتْه أحلامُ مرضاه
يستغرب ما يتنامى إلى مسامعه
ففي المطبخ يُغنّي الخُبز
والملاعق ترقص
وتُطقطق

نَحلة في غرفتي

هذه النّحلة التي دَخلتْ
مِن شَقّ في النّافذة
لها ذكريات صِبا
تتلامع في رأسها الصّغير
إنّها تتجوّل طائرةً
بالقرب من وجهي
لا تبتعد كثيراً عن رأسي
هل تعتبرني صديقاً؟
مع هذا تجيء لحظة
ويبدأ أزيزها في الخفوت
إنّها تتوجّه نحو النّافذة
فهي ستغادر لِتكمل سهرتها
في حديقة ولا شكّ
وكتذكار قد لا يدوم طويلاً
تَتركُ بعضاً مِن رعشاتها
في هواء غرفتي

أنا في شارع

أنا في شارعِ
مع العديد من النّاس
يَمرّ فوق رؤوسنا سَراب
كأنّه بِساط رَهيف مُلَوّن
تتساقط منه أوراقٌ كثيرة جِدّاً
عليها تواريخ وَفَياتنا
نحن الذين نسير على الرّصيفَين
لكنّك لن تعثر على الورقة
التي تخصّك أنت بالذّات
إلّا بمعجزة
لا أعتقد أنّي سأعثر على ورقتي
فأنا أسوأ حظّاً
من كواكب الخَزَف
لذا لا أبحث عنها إلّا لِثَوانٍ
بَعدها أتسلّى بالنّظر إلى ألسِنَة
تتدلّى مِن مصابيح الإشارات الضّوئيّة
الأخضر يُغنّي
الأحمر يَزجُر
الأصفر يتلعثم

استثناء

منذ سنوات
وأنا على خلاف مع أشخاص
قابعين في أحلامي
وبمجرّد ما أغمضُ عينيّ
يصرخون في وجهي
لكنّ واحداً منهم على الأقلّ
يتمنّى لي في كُلِّ مَرّة
ليلة طيّبة

عَمٌّ

آثرَ في هذه السّنة أنْ
يُسَمّد حقلَه بالكلام
ولأنّ له لساناً أصبح لا يكفّ عن الثّرثرة
منذ أن فتنتْه امرأة في السّوق الأسبوعيّ
فالحقلُ سيُخْصِب ولا شكّ
والغلّة ستكون عظيمة
حقّاً، هو لم يكن قد رأى
من تلك المرأة سِوى صَفَّي أَسنانها
وبينهما
قطعةُ بطّيخ مديدة
لكنْ سوف يُفعِم الفرحُ قلبَه بعد الحصاد
وسيكون هنالك عتّالون كُثر
وصَفْقُ أبواب
وسوف تَرتفع عقائرُ بالغناء
وتَتنحنح قناديل
وتتساقط ثلوج
على رؤوس نسوة حزينات
كنّ قد أغدقن حُبّهن الأموميّ
على قِطَع سكّر

كانتْ لها حياة

وشاء حظُّها العاثر

أن تذوبَ في كؤوس

قَبْل الإفطار

شَفرةُ الحلاقة تَحلم قُرب لحيتي
بقطراتٍ من دمي
نملةٌ تَسقط من مكان مجهول
على سَطح رغوةِ معجونِ الحلاقة
هي في وَرْطة عظيمة لكنّها تَحلم
أنّ لها ساعديْن قويّين وأنّها
تُجذّف وهي على متن قارِب
وإذْ أشعر أنّها تَودّ لو تَنُوح
أُسارِع إلى إنقاذها
لكنّي حين أُزمع البدء في الحلاقة
أسمع زمجراتِ غَضب:
إنّهنّ البيضات الثّلاث، مُنفعلات،
فقد تركتهنّ في زاوية معرَّضة
لتيّار الهواء.

أُطفِئُ الرّاديو

أُطفئ الرّاديو
وتبقى النّغمات العنيدة
في هواء غرفتي
غُبارٌ على حافة نافذتي
يُنبئ بِرقصة نِمال تحت شجرة
نِمال أعرفهنّ واحدة واحدة
سأكتب كتاباً عن أحلام النّمل
إن توافر لي الوقت
غُرفتي يَسودها حِسّ التّضامن
يحترق مصباح في لحظة
فتتطوّعُ قارورة المُرَبّى
لِتحلّ محلّه
ربّما كنتُ شَفَقاً في زمن قديم
وكانت أنفاسي مَطَراً
أنا الآن تحت الدُّوش
تُعابثني الصّابونة
فتقفز فوق الدّولاب
وفي جوفها

إحدى قهقهاتي القديمة

لكنّها سرعان ما تَعود

وتتمسّح بكتفيّ

واقِعة

كنتُ جالِساً في مقهى
وذابَ النّادل فجأة
وَقف أحد الزّبائن
وألقى كلمة تأبين طويلة
في حقّ الرّاحل الطّيب
كانت لي معرفة بذلك النّادل
رأيتُه قبل أيّام أمام قاعة سينما
كان يَسعل
وتحادثنا عن صُوفيا لورين
لَمْ يترك شيئاً لأفراد عائلته
لكنّه أراحهم
من كراء عربة
نقل الأموات

بِدايةُ يوم بارد

إنّها بدايةُ يوم بارد
المطر لا يسقط
يُطِلّ من أعلى ويبقى ساكناً
هل هو يَمزح
هل يُمارس التّشويق
أتركُ النّافذة وأجلس على حافة السّرير
قرب باب الخزانة يَقبع المصباح
الذي أَقَلْتُه البارحة
أصبح ضوؤُه واهناً
لكنّه الآن يَموء
إنّه يُؤنسني
هل يَحسب نفسه قِطّاً؟
ليس هذا بالمهمّ
سأساعده لِيتعلّم الغناء
إن رغب في ذلك
لا أنظر في اتّجاهه الآن
لا أدري لِمَ تجتذبني النّافذة
أعود إليها وأُجيل بصري في الخارج
تَمرّ عصافير مَرحة

يمرّ ملائكة صينيّون

يَجري حصان على قارعة طريق

ويَحلم بالجنّة

عُصفور يُحَدّق

عُصفور يُحَدّق في سيجارتك
يبدو كالمُستغرِب
إذْ يراك تنفث الدّخان بنفخات
متواليات
إنّه يُطلّ من نافذتك
وأنت تتابع على شاشة التّلفاز
وقائعَ حرب
يُستضعَف فيها ناس ويُقتَل أبرياء
ترى شجرة قصيرة ومُدَمّاة
ترى طفلة جريحة
في نَزْعها الأخير
سيجارتُك تشرف على الانتهاء
مرآة الدّولاب
مشروخة أمامك
العصفور يَلتفت نحوك
كالمُواسي
يَرِفّ بِجناح
ينظر إلى الغيوم
هل سيُحَلِّق نحوها

إنّه يتردّد

الشّرخ في المرآة يتّسع

تُسمَع قهقهة في جِدار

الأفق يرتعش

الأفق يرتعش
إنّه مريض منذ أمس
رفيقتي التي جاءت واندسّتْ في سريري
تَنقر صدري برؤوس أصابعها
أحكي لها واقعةً مِن طفولتي:
ذات يوم عاقبني المُعلّم
لأنّي دغدغتُ برؤوس أصابعي
ضلوع جليستي
كانت مجرّد مزحة
لكنّ تلك التّلميذة شهقتْ
العقوبة كانت تقضي بأن أقف
على رِجل واحدة
أمام الجدار الخلفيّ للقسم
رفيقتي التي بِجانبي الآن
تَشهق بِدورها
يلذّ لي ملمس رسوم أتخيّلها
على فخذيها النّاعمتين
أنهض وأُطِلّ على الشّارع
أرفع رأسي إلى أعلى

أتمنّى للأُفُق شفاءً عاجلاً

ثمّ أُغلق النّافذة

الدّرّاجة تؤنسني

أفكّر في عشيقة قديمة
أصمّم مشروعاً إيروسيّاً
درّاجتي الهوائيّة تتقدّم
الطّريق أمامي تتموّج
كأنّني أمخر عُبابَ نَهرِ أَسفلت
أنا عائد من قرية جَدّي
تستقبلني شوارِع المدينة
عماراتٌ حواليّ تتقافز
مَلاك في وِزرة زرقاء
يَمضي أمامي مهرولاً
حصىً صغيرة على الطّريق
تنتفض بِوَهن
كأنّها أسماك ضئيلة
أمرّ بالكثير من الأبواب الحديد
بفتيات جالسات في حديقة
أمرّ بقاعة سينما
الدّرّاجة تؤنسني

الدّرّاجة تتقدّم

في ذهني مشروع إيروسيّ

وفي جيبي بعض النّقود

بائع الأدوية أَضْحَكك

اشتريتَ دواءً من صيدليّة
عندك صداع نصفيّ
لكنّ بائع الأدوية أضحكك
فقد عرفتَه ذا خدّين حمراوين
دون شعرة في رأسه
وها قد عَلَتْ صلعتَه باروكة
لها شكلُ شَعرِ
بُوبْ مارلي
جارُك الذي كان سمسار سيّارات
أصبح يملأ قواقع بالبنزين
يَصنع لها عجلات
ويتفرّج على سِباقها
امرأة أسقطت سوتياناً في غرفتك
إنّها مجهولةٌ
دخلتْ من نافذة
وخرجتْ مِن نافذة
مرّةً استيقظتَ صارخاً
فقد رأيتَ في حلم
أنّك جالس إلى مكتبك

لكنْ فوق كُرسيّ كهربائيّ
ذات مساء سَقَط الغروب
أمام بابك
وانكسر عدد من أضلاعه

ظِلّي ليس غاضِباً

ظلّي يَسير ومِن حين لآخر
يُحيِّي ظلالاً من معارفه
ليس غاضباً لأنّي أَسحلُه على الأرض
ولو أنّه أصبح ذا جناحين
وحلّقَ عالياً وجَالَ في الأعالي
وصار له بيت على شاطئٍ في كوكب
لاسْتضافني وقضيتُ عنده عُطَلَ نهاية الأسبوع
عِوض أن أنشغل خلالها بتغيير مياهِ أكواريومٍ
فارغ من الأسماك
أجلس الآن على حائطِ حديقةٍ قصير
قُبالتي يمرّ أُناس وتَجري سيّارات
على الرّصيف المقابل حُفرة يتفاداها العابرون
أُفكّر: لِماذا لا يتمّ ردمها؟
يهمس لي ظِلّي: «لِحُسن الحظّ أنّها ليست بُركاناً
وإلّا لكانت حُمَمها الآن قد انطلقتْ
وكان لها ضحايا كُثر»
لا تُفاجِئُني غرابة ما قال
فهو يُريد أن يمزح قليلاً

في عَربة

أُسَافر في عربةٍ عجلاتُها بيضاء
تَسلُك بنا طريقَ الشّاطئ
السّائقُ أمامي مباشرةً
تَصِلني موسيقى من النّافذة التي
أُطِلّ منها على البحر
تْرلَلّا تْرلَلّا تْرلَلّا تْرلَلّا
موسيقى فلامنكو:
آه! كمْ كنتُ مُعجباً بِلَالُو تِيخادا
لكنّي نسيتُها زمناً ولم أتذكّرْها
إلّا في هذه اللحظة
جَارتي التي إلى يميني اسمُها علياء
وهي طبيبة أطفال
قالتْ إنها تحبّ الأغاني الخفيفة
وأنْ ترشَّ ظلّها في الصّيف
بماء بارد
وأن تُطلّ على المطر
من نافذة في قطار

استعراض

لم تَعُد هنالك ضرورة للتّحرّي
فالمطرقة قد اعترفتْ
باعتدائها على السّندان
مِن بيت جاري الشِّرّيب
خرجتْ دجاجة سكرانة
إنّها تترنّح
تَبتسم وتُلوّح لي
بأحد جناحيها
ظِلال تَكنس ذكريات
نبوءات تتدحرج في نَفَق
نجّارو الحيّ الثلاثة
تضامناً مع الأموات
قَضوا الليل في توابيت
نسيتُ سترتي معلّقة
إلى مصراع نافذة
وها هي تُربّت على كتفي
بِكمّها الأيمن
ألتفت وأضمّها إليّ
الزّمن يُقدِّم استعراضاً خاصّاً

تَمُرّ ساعاتٌ مُتواليةً:
ساعاتٌ مائلة
ساعاتٌ جريحة
ساعاتٌ باسمة
ساعاتٌ مُقَطِّبة
السّاعة التي خلالها ركبتُ
لأوّل مرّةٍ درّاجة ناريّة
السّاعة التي خلالها كتبتُ
أوّلَ رسالة حبّ
ساعةٌ مِن فترة حرب البسوس
حلّ معها صهيلُ خيل
وقرقعات سيوف
ساعاتٌ عرجاء
ساعات سائلة
ساعة مِن فترة كنتُ قضيتُها
في سِجن
مرّت ساعات سالفادور دالي
وقُوبِلت بالاستهجان
لأنّ صاحبها
كان فاشِياً

لِقاء عاطفيّ

لبستَ سترة جميلة

وَلمّعتَ أيضاً حذاءك

أنتَ ماضٍ لِلقاء عاطفيّ

مَع عشيقتك

يَدك اليسرى يُغطّيها ثلج قليل

وأنت لا تصل متأخِّراً

العشيقة تُفْرِط في التّدخين

ترتعش رئتاها خائفتين

يُطمئِنُهما قلبُها

الحنون

تَنغمس وإيّاها في الحبّ

المروحة الخجول تُسبل عينيها

تَمضي إلى الخارج لتتنزّه

في حديقة

مَتاعب السّقّاء نَوفل

السَّقّاء نوفل حزين
لأنّ مَاءَ قِربته انقلبَ إلى حِبر
يَوم شَرَع في كتابة رواية
مستعملاً ريشةً وَدَواة
لم ينتبه إلى الأمر
إلّا بعد أن ملأ طاسةً وكان
على وشك تقديمها إلى زبون
وبينما هو يفكّر في ما وقع
غَزا تأمّلُه غُرَفاً
عواطفُه أثّرتْ
في راكبي سَفينة
حُزنه كسرَ كؤوساً في بيوت بالحيّ:
في بيت قاسم المهندس
وبيت الصّبّاغ عبد اللطيف
وبائع الحريرة عبد النّور
يوم انقلب ماءُ قربته إلى حِبر
توقّفت قربَه امرأة كانت تُهرول
وضعتْ يدها على القِربة
وشرعتْ في البُكاء بلا سبب
الدّجاجات اللائي تَبِعْنه

لِيُعاينّ ما حدث لماء القِربة

عولِجن مِن فضولهنّ

بِصدمات كهربائيّة

نَوفل السّقّاء يَجلس الآن أمام بيته

يحتضن قربته

ولا يفهم

ما الذي دهاها

نَبأ سارّ

صديقي الذي كان قد لعب دور البطل
في مسرحيّة مثّلناها صغاراً
في باحةِ فُرن الحيّ
جاءني هذا الصّباح بِخبر سعيد:
البطّة التي لفظتْ أنفاسها قبل أيّام
رُئيت قبل نَحو ساعة
تَسبح في بِركة
كان فقدان البطّة
قد أثّر فينا كباراً وصِغاراً
وفي أغلب المعادن
وكذلك في الزّجاج
فالحديد ازداد سواداً
وَبَكى الذّهب
قرقعت كؤوس في مطابخ
النُّحاس أعلن أيّامَ حِداد
والفضّة لم تَعُد تقوم
بِرَقصاتها في ضوء القَمَر
وجاءتْ صُوَر بالأسود والأبيض
تبحثّ عمّن يظهرون فيها
في رفقة البطّة

أُختُ الصّديق الذي جاءني بالنّبأ
من الفتيات الحاذقات
أعيش معها حبّاً عميقاً
تحادثنا عن مُهرتها التي
تُجيد الحمحمة
وتستطيع الكلام
وعن البطّة طبعاً
تذكّرنا مشروع زواجنا
لكنّنا، بدافع الكسل،
أرجأناه
إلى حياة قادمة

في مستشفى كبير

هذا المَسلك الذي يتمشّى فيه كلّ يوم
يُبادلُه ولا شكّ الشّعورَ بالألفة
حين يخطو فوقه يَطمئنّ
تَخِفّ عنه مخاوفه
هذا المسلك هو في حديقة
والحديقة في مستشفى كبير
حيثُ يُقيم للعلاج منذ وقت طويل
ها هو يجلس الآن على مَصطبة
تحت شجرة
تنزل غيمتان
تتمسّحان بِيديه
بُرودتهما تُنعشه
مَلمسهما مخمليّ
ينزل طائران
يتحرّكان حول قدميه
ثمّ يُحلّقان ويبتعدان
الرّجل بلا عائلة
كان يعيش في منزل بعيد
وسيعود إليه
قالوا له: لقد شُفيتَ تقريباً

وغداً ستغادر المستشفى
لا يُحِبّ رائحةَ الأدوية ها هنا
ولا زمجراتِ بعض المُمَرّضات
لكنّه سيعود إلى هذا المكان
كلّما أمكنه ذلك
ليتمشّى في هذا المسلك
في هذي الحديقة
ويجلس على هذي المصطبة
تحت هذي الشَّجرة
ليرى الغيمتين والطّائرين
فالغيمتان والمصطبة
والمسلك والحديقة
والشّجرة والطّائران
هي الآن عائلتُه

عازفون وراقصون

زُرتُ صديقاً في مُستشفى
وفي طريق عودتي بدأتُ أسمع عازفين ومُغَنّين
الأصوات قريبة لكنّي لا أرى على الرّصيفَين
سوى مارّة عاديّين
مع هذا فإنّ أصوات الموسيقى والرَّقص تعلو
أَشعر أنّ مَصْدرَها قريبٌ من أُذنيّ
أنظر إلى أرنبة أنفي
أمطّ شفتِي العُليا إلى الأمام
أَلْمَحهم يتقافزون
يَرقصون ويَعزفون
هنالك راقصات بملابس زاهية الألوان
وعَجيزات سمينات
وراقصون يُحرّكون مناكبهم
لكنّهم جميعاً ميكروسكوبيّون
إنّهم يتحرّكون ما بين طرفِ شفتي العليا
وخَيشومَيّ
أعطس فينقذفون إلى الأرض
ثمّ ينهضون ويهربون

أدخل إلى دكان حلّاق
فقد طال شَعري
الحلّاق يشتغل في شَعر زبون آخر
يَقف شيخ مُسِنّ أمام الدّكان وينظر إليّ
عبر انفراجَةِ السّتارة
يَبدو أنّه حانق عليّ
ربّما كان أحدَ أفراد المجموعة الموسيقيّة
وتزايدَ حجمه بِسرعة عجيبة
لا شكّ أنّه يُريد أن يثأر منّي
بِسبب عطستي التي قذفتْ به أرضاً
حين كان راقصاً ميكروسكوبياً
ها عيناه تقدحان شرراً
بذهول أتتبّع ما يظهر لي في المرآة
إنّ تجاعيدي تتكاثر
أُدرك أنّها تجاعيد الشيخ المُسِنّ
تنتقل إلى وجهي
فها أنا قد بلغتُ المائة
ها أنا أُشْرِف على المائتين
هل أبقى هنا حتى أتجاوز
سنّ النّبي نوح؟
أنهض وأتقدّم نحو الباب

أتجاهل الشّيخ المسنّ

أمرق بِنَطّة من بين طرفي السّتارة

إلى الفضاء الخارجيّ

شَعْر القَمَر

أسيرُ الآن جنبَ البحر
الأمواج تلتمع بِحُمّى غريبة
شَعْر القمر منسيّ
على صخرة صقيلة
تنبعُ دُموع مِن عينَي عدّاء
يركض على الرّمل
أمّا أنا فأُنصتُ إلى موسيقى
بَثّتها في أُذنيّ ريح عابرة
أكاد أشعر بالهناء
لكنّ نمالاً كثيرة
بدأت تلتهم شَعر القمر
المُلَبَّد على تلك الصّخرة
ثمّ اقتربتْ مِن قَدَميّ موجة
لها قوقأة دجاجة
فقفلتُ راجعاً
إلى المدينة

يَركل الهواء الطّلق

كان واقفاً أمام باب بيته
لمّا عادت حلازينُ صامتةً
مِن المقبرة القريبة
فجأةً بدأ يضحك
وَرَكلَ الهواء الطّلق
من أمامه مرّ المتبرّعون بالدّم
الماضون لِيصطفّوا
أمام باب المقبرة
بداخل هذه الأخيرة
قدّم أمواتٌ عرضاً مسرحيّاً
مساء الأحد الفارط
أطلّ هو من كوّة في السّور المتهالك
تتبّع العرض لِدقائق
وأُعجِب بأداء هيكل العظميّ
له جبين مشروخ
وكتف ناقصة
تُعجِبهُ المسرحيّات المُتقَنة
يعتبر أنّ علبة نُشوقه
هي كَلبه الصّغير
يَسحبها خلفه بِحبل

وحين يسمعها تنبح

تبتهج روحه

انفجرتْ حروف

أتمشّى على رمل الشّاطئ وأُدندن
لم يبدأ موسم السّباحة بَعد
حُوريّات البحر أصبحن متوحّشات
صخور الشاطئ تُحافظ على برودها
رغم أنّ صيّاداً كان يقرأ صحيفة على صخرة
وانفجرتْ حروف صحيفته مُلتهبةً
فَأُصيب بِحروق
إنّه شخص غامض
مثل سائر النّاس
لِحُسن الحظّ أنّه لم يمت
أمّا البحر فهو فقير في هذا الصّباح
ليس لديه إلّا موجة وحيدة
هي التي تمضي وهي التي تعود
لقد حَدّقَتْ فيّ مرّة أو مرّتين
لها ثديان ثقيلان
يذكّرانني بساقية في حانة
كثيراً ما تَنقر النَّضد برؤوس أصابعها
ذات صباح رقَصتْ مُكعّباتُ ثلجٍ في كأسي
على إيقاع نَقراتها
لكنّ كرسيّاً طويلاً

أصابتْه نوبةُ صَرْع
وانتشرتْ بُقع داكنة وبُثور
على جِلد المدينة
أنا الآن عائدُ من الشّاطئ
ما يزال الطّريق أمامي طويلاً
عليّ أنْ أتفادى الضَّجر
أحسنُ طريقة لأُروّح عن نفسي
هي أن أتحدّث إليها
بلغة أجنبيّة

يُريد دَفْن ظلّه

غَذّ السَّير إلى المقبرة

لِيدفن ظلّه

بين جنباتها لا تزال

أصداءُ صيحاتِ جماجم

غاضبةٍ بسبب الطّقس البارد

يُريد أن يبدأ في الحَفر

يلتفت حواليه

هنالك دبابيس مغروزة

في جبين ميّت أَطَلّ

مِنْ قبر

جماعة مِن مَوتى لا لَحْمَ يكسوهم

أسّسوا عُصبة

للهياكل العظميّة المَرِحة

أقاموا البارحة أمسية غنائية

حضرها ملاك الموت شخصيّاً

إنّهم الآن يتثاءبون

من فَرط التّعب

أحدهم يحلم بأن ينقلوه إلى قبر

في خرائب نافورة

كانت تُعجبه وهو حيّ

الرّجل الذي جاء ليدفن ظِلّه
وَعَدهم بمصابيح يُثبتونها على جِباههم
ليتجوّلوا ليلاً
في الغابة القريبة
وأوصاهم خيراً بِظلّه
الذي سيُصبح من جماعتهم
ثمّ أراد أن يعود إلى الحَفر
رفع فأسه عالياً
ففوجِئ بقهقهاتهم
في تلك اللحظة بدا له ظلُّه
الذي كان قد فَرّ خلسةً
متخفّياً خلف شجرة
وبيديه أحجار
سيرميه بها ولا شكّ
إنْ هُو حَاول
مُلاحقتَه

وَظيفة

البارحة شاهدَ فيلماً في بيت صديق
أحياناً يدخل قاعة سينما
أمّا في بيته فليس له تلفاز
أمّه لم تعد مستاءة الآن
فالمهمّ أنّه سيشتغل
وسيتحسّن الحال
في البدء عَثر على وظائف عِدّة:
مدرّس عربيّة لأجانب
مدرّس رياضيات لببغاوات
مُربّت على أعناق زرافات حزينات
راوي نكات في دار عجزة
مُوقِظ كلاب نائمة في عرض الشارع
مُدرّب نِمال على النّميمة
حلّاق لِحَى قرود
سارق أمواج من بحر نائم
سكرتير للأثير
مُصفّق لساعات أثناء رنينها
نَديم لليلة صلعاء
مُحَرّر مخالفات ضِدّ أشجار
واقفة في غير أماكنها

في النهاية وجَد ما يُلائمه
إنّه ماضٍ الآن إلى عمله
هنالك بِركةُ من ماء المَطر أمام قَدميه
لكنّ مفاصله في حال جيّدة
بلا تردّد يَقفز
من فوق البركة الصّغيرة
ها هو يقترب مِن مكان شُغله
يَمرّ طائر بالقرب من رأسه
إنّه من الطيور التي
تحبّ أن تتهكّم عليه
منذ أن عُيِّن في مهنته هاته
هو لا يهتمّ
يتوقّف على جانب الطّريق
يُصبح بؤبؤا عينيه مصباحين
واحد يكون بالتّناوب أصفر أو أحمر
الثّاني أخضر فحسب
ها هما يتهيّآن للاشتعال
جسمه يتجمّد ويتخشّب
سيبقى هكذا أثناء ساعاتِ عَمَله
كعمودِ إشاراتٍ ضَوئيّة
لكنّه سيكون حُرَّ الأعماق

ويُمكنه أن يَحلم مستيقظاً

أن يروي حكايات لنفسه

إنّه مسرور بوظيفته

وفي منتصف الليل تحديداً

سيجيء شخص آخر ليحلّ محلّه

ويستعيد هو

هيئته الآدميّة

أَنعرج إلى زُقاق ضيّق

مُنذ نحو ساعة وأنا أخِفّ باطّراد
وربّما أكون على وشك التّلاشي
هل ما أزال مَرئيّاً؟
هل العابرون حواليّ
مُجرّدَ خيالات؟
يبدو لي المطر الذي يهطل
كأنّه غير حقيقيّ
لكنْ تمرّ بِقُربي عَجلات
فكأنّي أسمعها تتبادل التحيّة
أُفَكِّر في صديقتي التي تسكن بيتاً
له عِوَض النّوافذ جفون
تَرِفّ وتنفتح أو تنغلق تلقائيّاً
بِحسب أحوال الطّقس
أنعرج إلى زُقاق ضيّق
في جنباته يجلس متسوّلون
وبائعات كهرمان
تتطلّع عرّافةٌ إلى وَجهي

اِجْلِسْ لأروي لكَ طفولتي

تقول لي

أنا إذن مرئيّ

على صفحة رَمل

ذات صيف، كتبتُ مُذكّراتِ طفولتي
على صفحةٍ طويلة مِن رَملِ شاطئ
وتركتُها في عُهدة ذلك الصَّيف
لم أَعُد بعدها إلى ذلك الشّاطئ
إلّا بعد فوات الأوان
فكلّ صيف يحلّ سبع مرّات مُتواليات
ثمّ يتقاعد
الأصياف المتقاعدة تلتقي في العادة
في دائرةٍ مترامية الأطراف
مَركزُها فُرن مهجور
وكثيراً ما تلعب الورق
أو كرة القدم
الصّيف الذي لديه مذكّراتي
لا شكّ أنّه يقرأ منها فقرات
كلّ ليلةٍ
قبل أن ينام
لديّ إذن قارئ ذو مَقام
وهذا يُواسيني

يَقفز عازفون

لا تُعجبكَ الأغنية المنبثّة من المسجِّلة
وعلى غير انتظار
يَقفز عازفون من بيوتهم
ويصطفّون أمامك
تَقفز آلات موسيقية مِن بُيوت
وتستقرّ في أيديهم
تقفز راقصة مِن سريرها في غرفة بعيدة
ثمّ تبدأ وصلةَ رقص قبالتك
إنّه صباح آسِر
صباحُ قفزات
ومُعجزات
تفتقد صديقة قديمة
كانت قد ماتت غَرَقاً
فتقفز من أعماق البحر
وتنزل إلى جانبك
مبتسمةً
لكنْ بعد لحظاتٍ تقول:
أنا عائدة إلى مسكني تحت المياه
ثمّ تختفي مِن غُرفتك
وكذلك تفعل الرّاقصة والعازفون

تتأمّل وجهاً يتشكّل
من دخان سيجارتك
لكنّه سرعان ما يتبدّد
من النّافذة تُطِلّ على الشّارع
لا قفزات ولا معجزات
بائع التّبغ يُغلِق دُكّانه
بعد دقائق سيرحل هذا الصّباح
حاملاً حقيبته الوحيدة على ظهره
إن كان راجِلاً
أو جاعِلاً إيّاها على المقعد الخَلفيّ
لِدَرّاجته الهوائيّة

مبارك وساط

شـــاعر ورِوائيّ ومُـــترجِم مغـــربيّ. وُلِــد في 16 ـ 10 ـ 1955. درّس الفلسفة في عِدّة ثانويّات بالمغرب، وذلك حتّى نهاية 2005.

صَدَرَ لِه :

* في الشِّعر :

على دَرَج الميـــاه العَميقــة (دار توبقــال، 1990- منشــورات عُكــاظ، 2001)

مَحفوفاً بأرخبيلات، يليه : راية الهواء (منشورات عُكاظ، 2001)

فراشة مِن هيدروجين (دار النّهضة العَرَبِيّة، 2008)

رَجل يبتسم لِلعصافير (منشورات الجَمَل، 2011)

عُيون طالما سافَرَتْ (منشورات بيت الشِّعر في المَغرب، 2017)

جماجِم غاضبة بِسَبب الطّقس البارد (دار جِدار، 2025)

مختارات شِعريّة بالعربيّة والفرنسيّة، تحت عنوان:

Un éclair dans une forêt (Al-Manar, Paris, 2010)

* رواية :

وَديعة خُفاف (مَنشورات المُتوسِّط، 2023)

* ترجمات:

ممّا ترجمه مبارك وساط :

* شَذَراتٌ مِن سِفر تكوين مَنسيّ -

عبد اللطيف اللعبي - منشورات الموجة - 2004

* نادجا- أندري بريتون، منشورات الجَمَل، 2012

* التّحوّل- فرانتس افكا، منشورات الجَمَل، 2014

* الأبديّـة تبحث عن سـاعة يـد، مختـارات مِن شِـعر أنـدري بريتـون (منشورات الجَمل، 2018)

* ستُولَدُ شمسٌ مِن أهدابك- جمـال الـدين بن شـيخ (منشـورات حِـبر، إصدار رَقميّ، 2020)

* دَمي الذي يَرْشو اليأس- محمّد خير الدّين (منشورات حِبر، إصـدار رَقميّ، 2022)

جَماجِم غاضِبة بِسَبب الطّقس البارد

شِعر

مبارك وساط

Jidar
Culture & Publishing